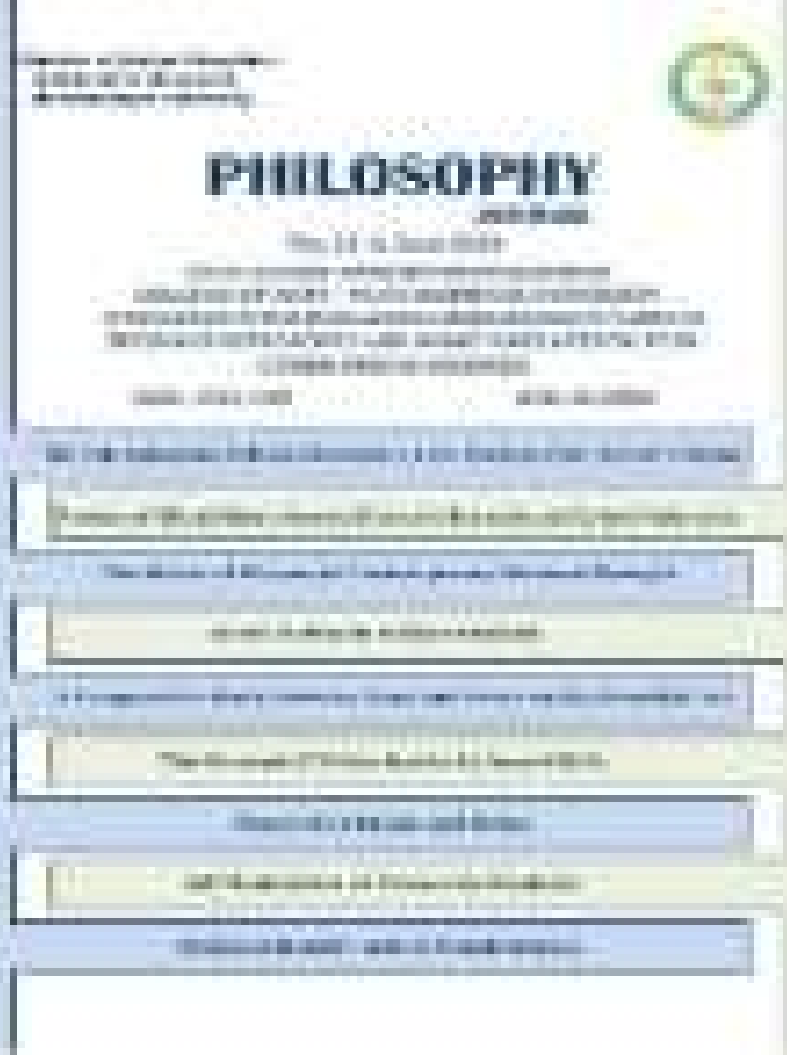

العدد التاسع والعشرون - أ

حزيران

2024

مسؤول الدعم الفني

م.م. مؤيد جبار رمضان

كلية الآداب /المستنصرية

الاشراف الفني

م.م. محمد محسن خلف

كلية الآداب/المستنصرية

اخراج وتنضيد

هيئة تحرير المجلة

مسؤول الموقع الالكتروني

م.د أسماء جعفر فرج

تصميم الغلاف

م.م. مؤيد جبار رمضان

التدقيق اللغوي

م.د. محمد محسن خلف

مجلة الفلسفة

مجلة علمية محكمة تصدر عن وحدة بحسبها اسم الفلسفة

الصيغة حاصلة على الترقيم الدولي ISSN:(1136-1992)

وعلى المعرف الدولي Doi تحت رقم prefix: 1935284

هيئة التحرير

رئيس التحرير أ.د.حسون عليوي قادي العراقي

الجامعة المستنصرية-كلية الآداب-قسم الفلسفة

مدير التحرير م.د.محمد محسن أبيض

الجامعة المستنصرية-كلية الآداب-قسم الفلسفة

اعضاء هيئة التحرير

أ.د. مصطفى الشار (كلية الآداب / جامعة القاهرة - مصر)

أ.د. يمنى طريف الخولي (كلية الآداب / جامعة القاهرة - مصر)

أ.د. فولفغانغ ريهل (جامعة ماين مارتن لوثر - المانيا)

أ.د. خليل جهاد حشان (الجامعة اللبنانية - لبنان)

أ.د. إحسان علي شريحي (كلية الآداب / جامعة طهران - ايران)

أ.د. صلاح محمود عثمان (كلية الآداب / جامعة المنوفية - مصر)

أ.د. علي عبد الهادي المرهج (كلية الآداب - الجامعة المستنصرية - العراق)

أ.د. صلاح الدين عبد الستار (كلية الآداب / جامعة بغداد - العراق)

أ.د. رحيم محمد سالم الساعدي (كلية الآداب / الجامعة المستنصرية - العراق)

أ.د. إحسان علي الجزيري (كلية الآداب / جامعة بغداد - العراق)

أ.د. زيد حمدي التميمي (كلية الآداب / جامعة الكوفة - العراق)

البريد الالكتروني

journalofphil@uomustansiriyah.edu.iq

ترقيم دولي (ISSN:(1136-1992

فهرسة دار الكتب والوثائق ببغداد تحت رقم (٩١٢) لسنة (٢٠٠٦)

مجلة الفلسفة

مجلة فلسفية محكمة نصف سنوية ، تصدر عن كلية الآداب / الجامعة المستنصرية ، وحاصلة على الرقم الدولي (المعياري) ISSN: 1130-1992 ، والمعرف الدولي تحت الرقم 10.55284 وتُعنى بنشر البحوث والدراسات الأكاديمية والفكرية الخاصة في مجالات الفلسفة المختلفة : مجال تاريخ الفلسفة (الفلسفة اليونانية ، والوسيطة ـــ مسيحية وإسلامية، والحديثة والمعاصرة (الغربية) ، والفكر العربي والإسلامي الحديث والمعاصر)، ومجال فروعها (الميتافيزيقا والتأويل ، وفلسفة اللغة والدين والمعرفة والتاريخ والجمال والفن والأدب والسياسة والقانون ...) ، ومجال الموضوعات النظرية الخاصة الأخرى (النظرة في: الطقس والعرفان والحضارة والمنهجيات ـــ المعرفية والبحثية ...) ، وأي موضوع ثقافي أو فكري يتضمن بُعداً نظرياً حول الإنسان والهوية والزمان والحدث ...والنشر في المجلة باللغة العربية أو الإنجليزية أو الفرنسية .ومما تتوخاه المجلة ، فضلاً عن خدماتها الأكاديمية المعروفة ، ترصين الثقافة ، ونشر الوعي النقدي البناء ، وفتح السبل أمام التقدم بالفكر والازدهار الحضاري المميز.

مجلة (الفلسفة)

مجلة علمية محكمة نصف سنوية ، تحمل الرقم الدولي (ISSN) 1992-1361 ، ومفهرسة على المعرف الدولي (Doi) تحت رقم 10-15248 ، وتصدر في هيئة تحريرها و عضويتها كبار المتخصصين بالفلسفة من العراق والعالم العربي والأجنبي ممن يحملون الألقاب العلمية العليا.

شروط النشر

1. يجب ان يكون البحث المرسل للمجلة مكتوباً بخط (Simple Sde Arabic) بحجم (14) للمتن و(12) للهامش ، ومعتمداً على (CD) خاص.
2. توضع الكلمات المفاتيح (العربية والانكليزية) في بداية البحث.
1. يرفق مع البحث ملخص باللغتين العربية والانجليزية لا يزيد عدد كلماته عن (150) كلمة ، ويوضع في بداية البحث بعد العنوان .
1. يكون توثيق الهوامش في داخل متن البحث وعلى النحو الآتي : (اسم المؤلف ، سنة النشر، رقم الصفحة) ويلغى الكتب أو الاسم الثاني .
1. يكون التوثيق للمصادر أو المراجع في نهاية البحث وعلى النحو الآتي:(اسم المؤلف سنة النشر ،اسم الكتاب مكان النشر دار النشر)

نموذج تطبيقي : العامري ، محمد عليوي(.....) ، المنطق العربي ، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية .

6. يشترط في البحث ان لا يكون قد نشر من قبل ، أو قبل للنشر في أي مجلة داخل العراق أو خارجه.
7. يخضع البحث للتقويم السري والاستلال الالكتروني من قبل خبراء مختصين .
8. البحوث المنشورة في المجلة تعبر عن آراء اصحابها ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر هيئة تحرير المجلة .
9. يدفع الباحث العراقي الذي يرغب نشر بحثه في المجلة مبلغاً قدره ، (100000) مائة الف دينار عراقي ، ويدفع الباحث العربي أو الاجنبي مبلغاً قدره ، (1005) مائة دولار امريكي.
10. ترسل المجلة بعد صدور العدد نسخة بسيطة هدية للباحث ، وفي حالة الرغبة يدفع (10000) عشرة آلاف دينار عراقي عن كل نسخة .

توجه المراسلات والاستفسارات على الايميل:
journal.of.phil@comutansiriyah.edu.iq

المحتويات

الصفحة	أسم الباحث	البحث
٤_١	رئيس التحرير	كلمة العدد
		❖ محور الفلسفة المسيحية
٣٥_٥	أ.م.د. أحمد عبد السادة زوير	١. حرية الإرادة والحتمية: مقاربة تحليلية في جدل إبستاوية ويراسدوس وهملتاهية أوغا
٥٦_٣٦	م.د. اسعد جعفر نرح	٢. النظرية الاخلاقية عند رايو أوكام
		❖ محور الفلسفة الحديثة
٧٧_٦٠	م.م. نور هاشم طه	١. الفعل الجميل بين الواجب والميل دراسة مقارنة بين كانط وبنثام
		❖ محور الفلسفة المعاصرة
١١٥_٧٨	أ.د كريم حسين اجاف	١. البعد الأخلاقي والسياسي في أفق تاريخ الكينونة مقاربة في نقد إمكانيات الانطلقات الكبرى
١٣٧_١١٦	أ . م . د . زياد كاظم عبي	٢. مكانة المرأة في الفكر الغربي المعاصر (جين بوربو من خلال كتاب الجنسة الثانوية)
		❖ محور الفكر الاسلامي
١٥٥_١٣٨	م.د. جابر ابي جبار	١. الإنسان قبل النشأة والوجود
١٧٢_١٥٦	م.م. إسماعيل دهنه فايق	٢. مفهوم العدالة الإلهية عند الإمامية دراسة عقلية
		❖ محور الفلسفة والدراسات الأخرى
١٨٢_١٧٣	م. م. جوفر محي كاظم	١. التحقق الذاتي لدى طلبة الجامعة
		❖ محور الدراسات باللغة الإنجليزية
١٩٤_١٨٣	Zeena Mohammad Tahir	Feminist Identity and Its Manifestation in Tanushree Poddar's Escape from Haren, R. K. Narayan's The Guide and Dipika Rai's Someone Else's Garden
		❖ محور قراءة في بحث فلسفي
٢٠٠_١٩٥	ا.د. رحيم كاظم الساعدي	١. تبرير الملاءمة من التعليم إلى الحكمة
٢٠٩_٢٠١	م. د. زينب رائي هويدي	٢. الفلسفة الفيثاغورية للعناصر سيرة ذاتية
		❖ محور نصوص مترجمة
٢١٥_٢١٠	ترجمة: يوسف اسحيرة	١. تاريخ الفلسفة: هل يتطور بشكل دوري
٢٢٠_٢١٦	ترجمة: أ.د. ايك أكين يوسف	٢. ما حاجتنا إلى قراءة النصوص القديمة

بالتزامن مع إنعقاد مؤتمر العرق الفلسفي العادي عشر (في كلية الآداب الجامعة المستنصرية) ، والذي ستقوم (مجلة الفلسفة) بنشر بحوثه ، يصدر هذا العدد الـ (٢٩) ليؤكد مجدداً على الحضور المتميز للفلسفة في مسيرة اهتمامات مجتمعنا ومثقفيا .

ومن لوازم إدامة حضور هذا النوع من الفكر ، أعني الفلسفة، التثاقف الايجابي، بل قل الجدلي بالأحرى، بين الخطاب الفلسفي المحض ، التخصصي، المقام على التسويغ الإتساقي، أو السياقي كما يطيب للفيلسوف الفذ (كانط) أن يقول ، وبين الخطاب الفلسفي التطبيقي الذي ينظر في قضايا اشكالات الناس وقيما تكدس من أفكار في عقولهم ، أو فيما بتنا نسميه : الثقافة الشعبية (ولكن من منظور فلسفي كما لا يخفى) .

إن من طبيعة الثقافة الشعبية أن تكون اجتماعية ، وعلى صلة بالتراث ، التراث الديني كما هو الحال في زماننا، ومن هنا سيطالع القارئ الكريم ، في هذا العدد ، على صلاح من المقاربات لبيان هذه الصلة من خلال البحث في : أصل الانسان والوجود استناداً إلى النص الديني ، والحرية والعبودية بين العصر الوسيط ومشارف عصر النهضة، والعدالة الإلهية كما تجسدت في الفكر الإسلامي ، الإمامي، والموقف من المرأة في الشرق والغرب ، من خلا بحثين : وتجلياتها في نماذج من الأدب الروائي the feminist identity الأول عن الهوية النسوية والثاني في الفكر الغربي المعاصر (بيير بورديو أنموذجاً)....

أما الخطاب الفلسفي المحض فقديما منه في هذا العدد بحثان الأول يرصد المنعطفات التاريخية في معنى الوجود العام (الكينونة) من المنظور الانطولوجي المعاصر ، ويبدو أن ريسطو كان محقاً : فالسؤال الذي حيّر الناس وما زال يحيركم .. هو سؤال الوجود (ما الوجود ؟) ...

والبحث الثاني في فلسفة الجمال والاخلاق وذلك خلال التوقف عند الفعل الجميل بين الواجب والميل ، عبر مقاربة بين أطروحتي كانط وديس في هذا العدد .

وفي محور قراءة في نص فلسفي لدينا نصان الأول فريد عن " نهج البلاغة من التنظير إلى في الحكمة "، والحكمة هي الفلسفة الأولى ، والثاني قراءة في كتاب الفلسفة الفلسفية لعبدالسلام سيرة عربية)

وفي محور النصوص المترجمة لدينا نص (عن الفرنسية) يدور حول " تاريخ الفلسفة " وفل بشكل دوري"، ونص (عن الانجليزية) حول : " ما نحتاجه قبل قراءة النصوص الكانطية " .

ونرجو من هذا التنوع في الموضوعات ، والتعدد في المقاربات ، والتباين في المنظورات الفلسفية ، في مجلتكم (مجلة الفلسفة) المحكّمة ، أن يساهم مجدداً في تبيين أهدافها من نشر الثقافة الفلسفية وإشاعة الوعي النقدي عبر تنمية العقول وصقل المواهب والابتعاد عن الدوغمائيات التي شيّكت على الكثير من العقول والطاقات والمتدبات...

رئيس التحرير

حرية الإرادة والعبودية

مقاربة تحليلية في جدل إيراسموس ولوثر

أ.م. د.: أحمد عبد الستار زرير

كلية الإمام الكاظم (ع) للعلوم الإسلامية الجامعة

islamicthought.lecturer1@alkdhum-col.edu.iq

الملخص

إنَّ السؤال الذي دارت عليه أكبر المناظرات في تاريخ الفكر الغربي إبّان القرن السادس عشر هو كيف عالج أدباء البحث في تعلق سيطرة؟ وهذا يدفعنا إلى السؤال عمّا حدث في الأزمنة التي سبقت سجيلًا، فهو البحث عن هذا الوجود وطبيعته، والكون الذي نحيا فيه من الأشياء التي تعد خارجة عن سيطرتنا، والواضح أنَّ كثيراً من الأشياء الواقعة في الخارج هي تحت هذا الوصف، ومهمة هذه الأسئلة أن توضح أمين العلاف الذي أحدهم بين عالم اللاهوت الكاثوليكي الإنساني ديزيديريوس إيراسموس (١٤٦٦-١٥٣٦م)، وعالم اللاهوت البروتستانتي الإصلاحي مارتن لوثر (١٤٨٣- ١٥٤٦م)، وتطلق الدراسة لبحث الجدل الدائر في تحديد صلاحيات إرادة ومدى فاعليتها إزاء معرفة قدرتها في اختيار أفعالها، لا سيما قدرتها الحرة بوصفها اشتغالاً بالعين وبالدين عقلياً، فأفعالنا وتصرفاتنا لا تخرج عادة أبداً من الطبيعة أو من أشخاص آخرين، بملاحظة أننا دائماً إلى اجابات التي تمثل الإيمان المسيحي بوصفه منبعاً للمعرفة البشرية، فأصل الخلاف يدور حول قدرة الكتاب المقدس، وفهمه في بيان وصف هذه الإرادة أو أفعالها، وإنَّ كلا اللاهوتيين سيتجأن إلى النصوص نفسها الواردة في الكتاب؛ لكن الخلاف يظهر في توظيف هذه النصوص الواردة في النص الديني، وإضافة لها دور الإجابات التي تمثل عصر الأداء، وساحة العقل البشرية، التي لوثر في إظهار عمق

القصوى وعبادة بعض القسوس، والاستلام إلى العقل البشري في تغيير منيلة الإنسان، وتحديد مصير أفعاله وقدرته في إيجاد الأفعال البشرية، ومصيره الذي يحتم عليه التيقه من السماء، غير فكرة عبودية الإله وقدرته في تحديد مسار أفعال الإنسان، التي هي ضمن الصفات الإلهية التي لا خلاف فيها ولا جدل، ودور النعمة الإلهية في تخليص الإنسان من الأفعال الشريرة (الخطيئة الأولى) عبر عقيده الخلاص المسيحية، وكل من إيراسموس ولوثر سيعكس اتجاهه في تحديد إجابته وقبضه للأخر، إلى درجة تظهر أن هذه المناظرة ستبين تحديد مسار الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة الإصلاحية البروتستانتية التي يُمثل فيهما المعرفية.

الكلمات المفتاحية: (إيراسموس، لوثر، حرية الإرادة، عبودية الإرادة، اللاهوت)

Abstract

The question around which the most famous debates revolved in the history of Western thought during the sixteenth century is how we confront things that are not within our control. This leads us to ask what happened in the times that preceded our existence. It is the search for this existence, its nature, and the universe in which we live are among the things that are considered beyond our control. It is clear that many things happening outside our control fall under this description, and the task of these questions is to clarify the origin of the dispute that raged between the humanist Catholic theologian Desiderius Erasmus (١٤٦٦-١٥٣٦AD), and the Protestant Reformed theologian Martin Luther (١٤٨٣-١٥٤٦ AD),

The study begins by investigating the controversy of determining the powers of our will and the extent of its effectiveness in knowing our ability to choose our actions, especially our free ability as adults and mentally sound people. Our actions and behaviours are not imposed on us by nature or by other people,

among the divine attributes that are emptied of God's eternal knowledge, and the role of divine grace in saving man from evil actions (the first sin) through the Christian doctrine of salvation, Both Erasmus and Luther will reflect their direction in determining their answer and rejection of the other, to the extent that shows that this debate will clarify the path of the Catholic Church and the Protestant Reformation and its path, which represents its cognitive value.

Keywords: (Erasmus, Luther, freedom of the will, slavery of the will, theology)

المقدمة

يُعدُّ الجدل الذي دار في مطلع القرن السادس عشر ميلادي بين اللاهوتيين الأكثر شهرةً آنذاك، هو الذي حدث بين العالم الإنساني الكاثوليكي إيراسموس المشهور بمواقفه الإصلاحية وفعله وصاحب الحركة الإصلاحية

noting that we resort to answers that represent the Christian faith as a source of human knowledge. The root of the dispute revolves around the ability of the book and its understanding to explain the description of this will or its cancellation, and that both theologians will resort to the same texts contained in the Holy Bible.

But the disagreement appears in the use of these commandments of the religious text in addition to the role of the answers that represent the era of the fathers and the space of the human mind. This has an effect on showing the depth of the gap and the contradiction of some texts, and thus the appeal to the human mind in interpreting the will of man and determining the fate of his actions and his ability to take human actions as well as his destiny from heaven, through the idea of servitude to God and His ability to determine the course of human actions. These are

مارتن لوثر، قبيل هجوم إيراسموس اللاذع على فساد رجالات الكنيسة الكاثوليكية، حينما طرح كتابه (مديح الحماقة)، وهذا مبدأ التقارب بين الاثنين، إلا أنَّ الخلاف في المسائل الأساسية لقضايا اللاهوت أبعد إيراسموس عن لوثر، إذ بقي رائد الإنسانوية وفياً للكنيسة الكاثوليكية، وأقدم على انتقاد تعاليم لوثر، الذي بدوره شرع هو الآخر للرّد على إيراسموس في عام ١٥٢٥م، وهذا مثل بداية الصراع الجدلي بين الاثنين عبر منظومات معرفية متباينة في تفسير النصوص والاختلاف في تأويلها، إنَّ حقيقة ما اصطلح عليه إيراسموس بالحوار في كتابه (حرية الإرادة) كان في الحقيقة نقطة التقاطع والتخاصم، لما يحمله ذاك العصر من احتدام معرفي في مطلقات بشرية معزوجة بأصول لاهوتية تارة، وتفسيرات (رؤيتكسية قائمة على حقيقة (الإيمان وحده) تارة أخرى، وهي ما كانت سبباً دفع لوثر إلى التثوير بالإيمان مع أنَّه انتقد ما تقدم في المسألة الظاهرة، والحقيقة أنَّ ما قدّم الفكر والكنيسة المسيحية في عقيدة (النعمة وحدها)، التي لعبت دوراً قوياً وحيوياً في الجدل بين إيراسموس ولوثر، إذ أوضح لوثر أنَّ عقيدة الاختيار أو المعونية نابع من النعمة وحدها، التي تمثل انعكاساً لعقيدة الإيمان وحده، وهو بذلك يتابع أوغسطين في العقيدة القائلة أنَّ الأفعال قد تمَّت مسبقاً، مبيناً أنَّ هذه العقيدة هي قلب الكنيسة، رافضاً في الوقت عينه نزعة إيراسموس الإكليريكية الشكوكية، التي تبحث في حقيقة الإرادة من طريق تأجيل الحكم وعدم تأييد أيّ رأي مطروح بما يطرح رؤية التصرف العاقل في مثل هذه الموضوعات، ولهذا انطلق لوثر إلى أنَّ الروح القدس ليست محل شك، والمسائل التي تصدر منه له قيمة إيمانية وليست محل شكوكية الاكليريين، وفي المقابل فإنَّ إيراسموس سيعترض على لوثر بغياب القيمة الأخلاقية للإنسان عن عجزه اتجاه التعاون مع النعمة الإلهية، إذ تغدو الإرادة بلا قيمة حين تعلن سيادة النعمة الإلهية،

بينما بالإمكان نفي الإرادة البشرية والخاصة الإلهية في تحقيق الخلاص، وهنا هو فيصل الفرق والافتراق بين إيراسموس ولوثر، فمطلقات لوثر الإيمانية ستحتم عليه استعمال أسلوب التهويم والرفض العنيف، الى حدٍّ وصفه إيراسموس بأنّه يتبنى عقيدة البلاجيوس الهرطوقي، وهذا الأمر دفع لوثر إلى الرد بكتابه المعنون بـ(في عبودية الإرادة)، مقرراً بأنّ الإنسان ليس في قدرته تحديد إرادته، إنّما هو يسير بوساطة النعمة التي تقرر الأفعال بسبب الخطيئة التي ورثها بنو البشر، فالخلاص قائم على أصل النعمة في تحديد اختيار العبد، وقد استعمل كلٌّ من إيراسموس ولوثر مجموعة من النصوص الواردة في العهدين القديم والجديد، لبيان حقيقة آرائهم في الجدل، في استنتاج يحمل فهمين متمايزين، يمثل كل واحد منهم توجهه الفكري والإنساني، لذا قُسّم البحث على مفاصل متعددة إلى المفاصل ابتدأت بالتمهيد لمسألة الإرادة وحرية الاختيار، ومن بعدها دقق إشكالية حرية الإرادة والاختيار لوأ، وبعدها اتجه البحث إلى مناقشة موقف إيراسموس إزاء رفض لوثر لحرية الإرادة عبر ما سميناه عبودية الإرادة ثانياً، وأخيراً تناولنا الكتاب المقدس والفهم المختلف من قبليهم، واختتمنا البحث بأهم النتائج.

التمهيد

إنَّ مناقشة أصل موضوع إرادة الإنسان قائم على فرضية تاريخية قبل كل شيء، وهذا ما أثبته كلمات إيراسموس في مناقشة مسألة (حرية الإرادة)، بوصفه أحد أعظم رجال عصر النهضة والممثل للتيار الإنساني، فهو لا يريد الإساءة إلى أيّ جانب مختلف عنه، كونه يتعامل مع المسائل والموضوع منظراً ومستفهماً (إيراسموس ، ٢٠١٤، ١٢)، فهو يبحث عن إجابات وليس رافضاً له (ليس دوغمائياً)، وبهذا إنّه يحاول تجنب الانحياز إلى طرف ما في النقاش، بسبب وسطيته بين الأطراف في بحثه الإرادة الإنسانية الخالصة والنعمة والعبودية، وعدم انحياز

لا ينفي إيمانه بفكرة أنَّ الموضوع له أصول من الكتاب المقدس، إذ أنَّه لم يتوقف في إعادة فتح الإحتمالات والآراء التاريخية، نزوعاً منه لتقديم وجهة نظر بديلة عن لاهوت لوثر الإصلاحي، قابلة للنقاش المباشر ومقبولة على أساس إنساني، لا ينطلق إيراسموس في بحثه عن الإرادة للإجابة عن سؤال لم يكتب له الإجابة عبر النسق المسيحي اللاهوتي بشكل أساسي، وأنَّ عمله قائم على فرضية سؤال الحرية الشخصية، التي يمثل المركز لمذهب الإنسانوية المسيحية والمتكأ على قدرة الإنسان على التحكم بمسار أفعاله ومسؤوليته عنها، بمعنى أنَّ الإنسان مخلوق مقدر له امره وبنفس مخلوقاً أخلاقياً حراً في اختياره، بما يتيح له رسم شكل حياته في الخلاص، وهو ينفع عن الاله رسم الصورية والخطيئة التي يحتدها القدر الإلهي للبشر، فالفارق أنَّ الإنسان هو المسؤول وليس الاله.

ويعود أصل هذا الجدل إلى زمن دفاع مارتن لوثر أطروحاته الخامسة والتسعين على باب كنيسة القلعة في فيتنبرغ ١٥١٧م (هندريكس، سكوت إتش، ٢٠١٤، ص١٦)، وهو ما غير مجرى الرؤية الخاصة بتعاليم الكنيسة والعقد، إذ كانت أعظم الجوائز إذا جاز التعبير عنها في تلك القرن، إذ كان يُعد جدلاً لاهوتياً بامتياز في القرن السادس عشر بين ديسيدريوس إيراسموس، الذي يعد أبرز علماء عصر النهضة الإنسانية آنذاك ومارتن لوثر الداعي للإصلاح، حينما نشر إيراسموس كتابه الذي جاء تحت عنوان (حرية الإرادة) في عام ١٥٢٤م، واعقبه لوثر بعده بعام برد بعنوان (عبودية الإرادة)، وكان الخلاف الاساس يدور حول طبيعة الإرادة من حيث الحرية واللاحرية (العبودية) وارتباطها بالخلاص المتصل بالنعمة الإلهية، فهذا الجدل لم يسجل حضوراً قبل هذا النزاع، حيث كان لوثر مادحاً ومعجباً بالأخير ورسمه الإصلاحي، ولا سيما في كتابه (مديح

الصداقة)، التي كان هجوماً لاذعاً على فساد رجال الدين داخل الكنيسة الكاثوليكية، إلا أن إيراسموس ظل وفياً فيما يتعلق بالقضايا الأساسية للكنيسة، وبعدها شرع بعد تعاليم مارتن لوثر، إذ يقول ((عجباً، إيراسموس يجرؤ على مناظرة لوثر، هل يعتقد الدببة أنَّ ثقب إبرة قبل؟ ولكي يبدأ روح هؤلاء، أقول إنَّهم لو أتحلوني وقتاً لذلك، أنني لم أقسم على طاعة كلمات لوثر، ولا ينبغي لأحد أنْ يدَّعي اختلافي معه غير لأني أرى أكثر من مجرد اختلاف وجهة نظر بين رجل ورجل آخر، ومن ثم يجب ألا يثير غضب أحد إطلاقاً الاختلاف مع أحد معتقداته خصوصاً إن كان هناك شخص يواجه لوثر بالهدوء وبالحجة العلمية للوصول للحقيقة)) (إيراسموس، ص١٣)

فلوثر كان متركزاً الموقف بشكل جيد، على الرغم من اشتراكه بالمواقف الإصلاحية مثل: هجومه حد سلوك الكهنة وممارسة البابوية في سلطتها (ج. بيوري، ٢٠١٠، ص٦٦)، ومع هذا بقيت هناك اختلافات لاهوتية عميقة بينهما مع دعوة إيراسموس المبكرة للإصلاح، ويجدوت الرئاسة في العمل اللغوي عن العهد الجديد اليوناني، وكأنَّ إيراسموس وضع البيضة التي فقست لوثر (بيورات، ١٩٨٨، ص ١٥٤)، ويمكن التعرف على طبيعة العلاقة والجدل بين الإنساني والاصلاحي لكونهما شخصيتين مؤثرتين في الفكر واللوعي المسيحي، وإنَّ نسبت الأبوية اليوم إلى لوثر، بخلاف إيراسموس التي خلفت نجمه إلا أنَّه يمثل النقطة التاريخية في أعماله بالنسبة لمجموعة من الأساتذة والفلاسفة المشتغلين في مداخي الفكر اللاهوتي والفلسفي، فعلى سبيل المثال استدار الفيلسوف الفرنسي ميشيل فوكو كتاب (مديح الحماقة) معاً إلى جنب مع كتاب فلايتر مورايا (زيد بقيقا) إذ أنَّهما يمثلان أول نماذج أدبية هيومانستية، تناول عرضها الجنون سواء بشكل فكاهي أو جدي (فوكو، ٢٠٠٦، ص٣٧)، وهو ما يؤكده هاشم صالح عن جهود

إيراسموس بقوله: لا ريب في أن كتاب ثناء على الجنون أو (مديح الحماقة) هو رائعة كتب إيراسموس وأحد أهم الكتب التي أنتجها عصر النهضة وأنه كتاب لم يشخ على الرغم من تعاقب القرون والأزمان عليه، أي منذ لحظة تأليفه عام ١٥١١م وحتى اليوم)) (هاشم، ٢٠١٥، ص١٠٨) . فالنقاش النهائي أقرّ جدلاً شيئاً على شخصية إيراسموس ولوثر، بوصفه موضوعاً مركزياً ومثيراً للتصورات جديدة، غالبًا ما يتم فيه إسقاط الشخصيات التاريخية في براكين التناقضات الزمانية، فهما يلخصان عمق الجدل بين الإيمان والعقل (بورادت، ص١٨٠). في حين كان الكثير يأملون أن يتمكن مارتن لوثر وإيراسموس من الاتحاد ضد أخطاء الكنيسة الرومانية الكاثوليكية، بل أنّ لوثر نفسه يميل إلى الاتحاد مع إيراسموس، لأن الأخير كان عالماً عظيماً في عصر النهضة، درس الكلاسيكيات والعهد الجديد اليوناني، محاولاً استثمار موقفه من انتهاكات رجال الكنيسة الذين ذكرهم إيراسموس بشكل ساخر في مديح الحماقة، فصبح فسق روما وافتقارهم إلى العقلانية، ومع هذا الرأي الذي جاء به إيراسموس لم يجعله اصلاحياً، بل الزجج حين قرأ هجوم لوثر على البابا وعلى نظام مسكوك الفرنك متخذا وسيلة يدّلي بها تماما عن لغة الاصلاح وأهدافه، وقد تمثلت في رده عام ١٥٢٤م (المصنر السابق، ج٢، مع ٧، ص ١٥٢).

أولاً: إشكالية الإرادة

إنَّ بحث موضوع الإيمان بجدلية الله هو الإشكالية التي تحدد منطلق الدارس في تحديد فيصل الافتراق بين الديانات الكبرى السماوية اليهودية والمسيحية والإسلام، فالكونر الذي يراقق المسيحية ليس منشأة التوحيد بالمعنى العام، إذ إن اليهودية والإسلام تشاركان معها، وإنما العامل الذي يختلف فيه هو مفهوم التجسد الإلهي الذي ردم الهوة بين الإنسان والإله، تعم في البداية كانت الحضارة الرومانية تمثل فكرا مصدر قوة،

إذ أنَّ المسافة بين الإلهة والبشر تزيد بصورة كبيرة، إلا أنَّها تواجه صعوبة لدى المسيحيين في تفسيرها وإيضاحها (كيف يتحول الإله أو يصبح انساناً)، بمعنى عكسي كيف يصبح الإنسان في مقابل الإله؟ والسؤال كيف نحل هذين السؤالين بما يحملانه من صفات، أو بعبارة ثانية ما العلاقة بين الإلهي والبشري؟ (الأب والأبن) بحسب الوهبة، وبصورة معكوسة ما العلاقة بين البشر وخوفه؟، وهنا الإنسان-الإله- وكيف تتحد الموجودات؟ وكذا الحال في الإرادات، وكيف تكون متناسقة ومستقيمة على خط واحد مع بعضها، ونحن نعرف أنَّ الاختلالات البشرية والانفعالات موجودة وبالتالي فالجدل الذي بدأ في تلك هذه الاشكالية (الثالوث) هو ما دفع آباء الكنيسة إلى البحث عن إجابة لهذا السؤال، بالاعتماد على أساس جهد فلسفي (الأفلاطونية المحدثة)، التي أخذت حيزتها في مجمع النيقية (توراس، ٢٠١٧، ص١٧)، وزاد في ايضاح هذه العقيدة بواسطة أوغسطين وأتباعه ومن تلاه، الذين فهموا الإله بأكثر من صورة مستعينين بأفلاطون (ماسة ، ٢٠١٩، ص٨٥) (العقل) المطلق، التي تحمل صفات مطلقة وقدرة مطلقة، وهي ما قدمت أنَّ الإنسان خلق بصورة الإله ومنح الحرية، وأنَّ نزول الإنسان من الجنة كان بسبب سوء استعماله للحرية، وتمثل قصة المسيح بالفداء عن طريق تجسد الإله وتضحيته (المصدر السابق، ص ١٠)، وبين دخل التيار الارسطي بتوب ابن رشد بواسطة الفلاسفة المدرسيين (المصري، ٢٠٠٧، ص١١٢-١١٣)، الذين اعتقدوا أنَّ (الأب والأبن) تستعمل بمعنى المقهور الإلهي أو الحديث عن الألوهية، وحتى هذا القهر سيدخل عبر قياس البشرية بواسطة العقيدة القائلة: إنَّ المسيح هو ابن الله الأب بعد الإقرار بالحقيقة، لكن بأسلوب خاص بعيداً عن التعقيد والسحر الشعري أو التعبير العاطفي، وبناءً على هذا فأنَّ المسيح لا يُلد هو ابن الله البيولوجي، وهو ما يرده أوغسطين عن طريق الملائمة بصورة تدريجية في كتابه

(الثوت)، لا نستطيع أبدا فكرة عن (الإله) بالرجوع إلى الأشياء وصفاتها ونوعها، فطالما أنّ كل شيء هو من صنع الإله، أيّ أنّ الله هو خالقه، فالأشياء يجب أنّ تحظيا صور معكوسة عن طبيعة الإله، فالكلمات (الأب والابن) تُظهر حقيقة الإله، بينما يظهر من البشر الإنسان من معاني الكلمات، وهي ثابتة في الوجود الحقيقي للكيان.

لم يطرح سؤال الإرادة عند اليونانيين كونهم يتعاملون مع الفعل بصورة كبيرة من دون الالتفات لمفهوم الإرادة، يجب تعالي العقل اليوناني، الذي يرفض ويستبعد الدخول لاحتكام الداخلية، لكن هذا لا يعني أنّ اليونانيين لم يفرقوا بين مفهوم الإرادة والاختيار، فالمتتبع لفلسفة ارسطو يجد جليا ذلك في البحث عن الإرادة عبر كتابه الأخلاق (ارسطو ، ١٩٢٤، ص٢١٩-٢٧٩)، حيث يرى ان الفرد يتمتع بحرية التحكم بأفعاله، إذ الأفعال تعود أو تؤول إلى الفرد، وقد ذكر توماس بيك، أنّ ارسطو لم يستعمل مصطلح (eleutheria) ، وهي الكلمة الاغريقية المرادفة لكلمة الحرية لوصف هذا التحكم في الأفعال، بينما كان تداوله في سياق يقتصر على التعبير عن الحرية السياسية أو التحرر (بيك، توماس،٢٠١٥، ص١١)، وهذا هو المعنى الذي تداول آنذاك، مع أنّ السؤال بحد نفسه قد يساور الإنسان فهو يرتبط بالسؤال الكوزمولوجي للوجود، لكن البحث عن المعنى كان الشغل الشاغل، وحتى المرحلة التي تلت العصر الهيلني البعيدة عن الحرية، إلاّ أنّ الإرادة لم تكن ضمن الإشكاليات المثارة بشكل الحرية والمعلومة في الوقت نفسه، فالأبيقورية كانوا يعتقدون في الحياة البشرية السعادة كانتفاء ذاتي وأنّ التحرر يزعج صفوتهم، فمنظورتهم تقوم على أساس أنّ الحرية التخلص من الخوف من الموت، والموت في فلسفتهم عن طريق البشر الآخرين ومن الإله، لذا توجب عليه اللجوء إلى العزلة عن الحياة العامة، وهو ناتج

عن اللامبالاة الذي اتسم به الإله بحياة البشر (أمين، ١٩٧٠، ص٤٣).

ولم يختلف الرواقيون عن سابقيهم الأبيقورية، لكنهم أثروا العزلة عن العالم أو عدم التدخل السماوي في حياة البشر، بل ربطوا ذلك بالاتحاد بالوجود الأعلى الذي يسيطر على كل شيء، ولا يتحصل ذلك إلاّ بوساطة أن يتحول الفرد عاقلاً أو فيلسوفاً بما يتيح للفيلسوف من وجهة نظرهم الارتباط بالوجود الأعلى عن طريق المعرفة المطلقة أو المعرفة المتقنة، وذلك عبر الطباع الحس الجلي والواضح كطبيعة يستطيع عن طريق هذه المعرفة يصبح الفرد حراً باتحاده بالقدر، أمّا الأفراد غير المتعلمين بهذا فيكون من الصعب والمستحيل عليهم فهم هذا القدر، فيكونون عبيداً، والفرد الحكيم (العاقل) لا يتحرر من علل الطبيعة بمجرد اتحاده بالوجود، بل يصبح حراً روحياً.

ونجد أنّ سكوت اريجين قد بدأ كتابه (في التجلي السابق) بأن قال: إنّ الفلسفة الحقيقية هي الدين، وأنّ الدين الحقيقي هو الفلسفة، فما يدركه العقل، إن كان إدراكه حقيقياً، هو الدين، وما يقوله الدين، إنْ كان القول حقيقياً هو الفلسفة، ولا بدّ أن يكون الدين والفلسفة شيئاً واحداً، لان مصدرهما واحد، وهو الحكمة الالهية (بدوي، ١٩٧٩، ص٤٩).

ومن وجهة أخرى فإن الأنظمة المعرفية المتولدة من الدين هي محل تساؤل وشاذة في طبيعتها وحقيقتها، كون العقل البشرية يحاول الخروج من مآزق التهابات، التي تحتم النتائج الخاضعة لطبيعة هذا السؤال، وكونها معداً للعبرة كلما أعيد التأكيد على إثارتها يُعد فتح الباب الذي اغلق لمدة معينة، واعتادة المسكوت عنه في الإيمان للمطويسة الدينية، لا توجد مسألة تسبب التيه والحيرة أكثر من مسألة حرية الإرادة (إيراسموس، حرية الإرادة، ص١١)، إلى حد التصور، إلاّ أنّ هذه المسألة قد أسدل الستار عليها، وأخرج كل ما فيها من عصارة من زمن بعيد، ولم يبقى لباحث

الجديد أنْ يطلع فقط على ما قيل في تاريخ الفكر الماضي، التي لا بدَّ أنْ يكون سمعها كل إنسان، والخطأ الذي كما يجبر (وليم جيمس) في إحدى محاضراته: لست أعرف موضوعاً لم يُقل البحث عنه مثل هذا الموضوع، وليس هناك موضوع مثله تجد فيه ملكة الاختراع فُرصاً خصبة لم تطرق بعد، وليست أعني بذلك طبعاً الوصول إلى نتائج جديدة أو ملزمة للتصميم بالرأي، لكنني أعني أنه ما يزال هناك فيه مكان خصب للتعمق في معرفة حقيقة الصراع بين المتخاصمين (جيمس، ٢٠٢٢، ص١٣٧)، ولم ينحصر هذا الصراع في الفكر الغربي فقط، بل امتدَّ ذلك إلى كونها النقطة المحتدة في الكلام الإسلامي التي دار بسببها الكثير من الإشكالات وأفرزت العديد من الفرق، وما يرجح هذه الإشكالية أنَّ تتكفل الفرد المؤمن، كونها متعلقة بالجانب العملي، ومن جانب آخر تمثل حقيقة النتيجة التي ترتب في ضوئها الإجابات التصورية للنصوص المقدسة، وكون هذه المسألة أيضاً متعلقة بالفرد وإيمانه، وأنَّ النصوص الدينية قد تعرضت بشكل أكثر لها، إلا أنَّ الناتج قائمة على فهم النصوص بحسب القدرات البشرية، إذ أنَّ منشأ السؤال يرجع إلى طبيعة العقل الإنساني.

ويقرر (بيان جلسون): أنَّه (إلى استطاعتنا أنْ نقول: إنَّ إثبات حرية الإنسان قديمة قدم الإنسان نفسه، فالديانة المسيحية لم تخترع فكرة الحرية، لكنَّها كانت تعتقد مثل هذا الزعم لو أنَّه أظهر)) (جلسون، ٢٠٠٩، ص٣٩٦) ، فحين خلق الله الإنسان فرض عليه الناموس، إلا أنَّه تركه الإنسان رغم ذلك حراً في أنْ يفرض عليه أفعاله، فالقانون الإلهي ليس قهراً للإرادة البشرية، ولا سعو لهذه الإرادة، ومع ظهور الفكر المسيحي بدأت سلسلة من المصطلحات الفلسفية في التداول العام، فالله لم يخلق الإنسان بوصفه أداة تتصرف من دون فهم، بل خلقه حراً، بخلاف سائر المخلوقات الخاضعة لقانون ثابت،

الشمس والقمر والكواكب في خاضعة لقانون طبيعي أوجده الله وهو يحركها كما يشاء، والإرادة الحرة هي الخصيصة لتعقل الإنسان، وبذلك يظهر الفارق عن سائر الموجودات، لكن البحث في هذه المسألة يبدأ ظهورها مع النصوص الدينية، التي فتحت الباب لمعرفة أصل الشر والخير والثواب والعقاب، كون المخلوقات بأجمعها لا تخضع بسبب خضوعها لقانون الطبيعي للسبب، كونها مخلوقات غير عاقلة، بينما الإنسان بحسب النصوص فانه يجازى على ما قدمه من أفعال وغيرها، أو كان الإنسان خاضعاً لقوة القهرية سيكون قد أجبر عليها، لذلك ارتبط السؤال بمعنى الوحي الذي ضمن للإنسان الثواب والعقاب جزاء أفعاله التي يقوم بها بإرادته، وهذا ما عبّر عنه المستشرق هاري- ولفسون: بقوله ((إنَّ الاعتقاد بإرادة حرّة هو ما جاء به الوحي أساساً، وهو ما دافع عنه فلاسفة اليهود وآباء الكنيسة، ومن قبلهم فيلون، بتعاليم الكتاب المقدس، ولمبادئ بمساعدة الاستدلال الفلسفي)) (ولفسون، ٢٠٠٩، ص٨٧٨) وقد افرد أوريجانوس في كتابه في المبادئ بابا لمسألة حرية الاختيار وقدرة الإنسان على صنع قراره بنفسه، فضلا عن مقالته (في الاختيار الحر) وهي مقالة لم يصل إلينا الا عناوينها فحسب وفيها أشارة إلى حرية الكائن العاقل، إذ أن العقل يسوس حركات الإنسان ويملك في طبيعته القدرة على معرفة الخير والشر (أوريجانوس، ص٦٥)، ((إنَّ ما يأتينا من الخارج ليس لنا حول عليه، إنما استخدامه استخداماً حسناً أو سيئاً يتحول بنا، ما دام العقل الذي في داخلنا يسير كيف يجب استخدامه، ويحكم فيه)) (المصدر السابق، ص٦٦٨) ، إنَّ الفكر المسيحي يُعَدّ أوريجانوس أول من تناول موضوع حرية الإرادة بشكل نظامي وتفصيلي (Michael Frede, p1011, ١٠٥.)، لأن أوريجانوس سيعتمد على بوستيوس الشهيد في مقالته البرهانية لإيمانهم بالقدر إذ يقول: ((أننا لا نعلّم كما يقل

الرواقيون" بأن الإنسان يعمل ويتألم كما يملي عليه القدر، بل نؤمن أنّ كل إنسان يفعل الخير أو الشر بإرادته الحرة... وبما أن الله مدّ اليد خلق جنس الملائكة والناس وليهم إرادة حرة، فهم يعمل سوف يدخلون ثمن خطاياهم في النار الأبدية، «الإنسان بطبيعته له إمكانية الفضيلة والرذيلة، ولن يستحق المديح على أي عمل يعمله ما لم تكن له القدرة على أن يميل إلى أي منهما، أي الخير والشر»)) (يوستينوس، ٢٠١٢، ص ١١٢) ومعنى هذا أن أوريجانوس يؤسس موضوع حرية الإرادة في كتابه المبادئ بعد عرضه لأهم العقائد الأساسية، التي نؤمن بها الكنيسة المنقولة من البشارة الرسولية: ثمة إلهٌ واحد... قد خلق كل شيء... ثم يسوع المسيح الذي جاء وولد من الآب... ثم بعد ذلك نقول أنّ الروح القدس يشارك الآب والابن في الكرامة والمنزلة (أوريجانوس، في المبادئ، ص ٦٧-٦٩)، إلى أنّ يقول: علاوة على ما تقدم، فإن النفس تنال مصيرا بحسب ما تستحقه حينما تخرج هذا العالم... وحددت البشارة الكنسية بهذا الخصوص القائلة بأنّه: نعم كل نفس خالقة بحرية اختيار وإرادة... فينبغي أن ندرك عندما نتحدث عن الحتمية، ولا نحن مرغمون بأي شكل من الأشكال ان نسلك رغم أننا سلوكاً سيئاً أو سلوكاً حسناً... وبعقد اعتقاداً مخالفاً من يقول إنّ مسير الجوم وحركاتها عليه الأفعال البشرية (المصدر السابق، ص٦٩)، ومن هنا نسجل أنّ أوريجانوس يتفق ويترك من سبقها إذ ذكر يوستينوس: ((نحن نؤمن أن من يختار أن يرضي الله فبسبب هذا الاختيار سيكون مستحقاً للحياة الأبدية في حضرة الله ومن ثم يكون في مقدورنا أن نخلق ذواتنا؛ لكننا نؤمن أننا سنتمتع أن نعمل الأعمال المرضية أمامه باختيارنا بحسب ما وهبنا من قدرات عقلية)) (يوستينوس، الدفاع الأول، ص ٣٦-٣٧) ، وهذه الموهبة التي أقر بها يوستينوس وعمل عن طريقها أوريجانوس أدلة الإثبات حرية الإرادة بوساطة حركة الكائنات أو الموجودات، وصفها بحسب

طبيعته، فمنها من يتحرك بقوة الطبيعة ومنها من له قوة المركة، ثالثه يفكر لقوة إدراك العقل، والإنسان يسير بقوة الطبيعة، لكن بتوجيه من العقل لعمل الصالح أو الطالح، ((إنك بأننا بحكم هذا العقل نستخدم النواقع التي تأتينا من خارج، لكي نقوم بما يرضي العقل نفسه عندما وبه تتجه حركاتنا الطبيعية، حسب ما يطيب له، نحو الصالح أو نحو الطالح)) (أوريجانوس، في المبادئ، ص ٢٦٦) ، وأوريجانوس سوف يجيب عن السؤال المتعلق بخطيئة الجسد نفسه، كيف نفسر التحولات في التربية ممن تحولوا من فعل الفساد والشر والرذيلة إلى الخلة والعكس إذ يحسم أوريجانوس هذا الموضوع بقوله: ((إنَّ منطق العقل يدلنا، إنَّا، على أن ما يأتينا من الخارج ليس لنا خول عليه، وإنما استخدامه حسناً أو سيئاً يتعلق بنا، ما دام العقل الذي في داخلنا يميز كيف يجب استخدامه ويحكم فيه)) (المصدر السابق ص٢١٨) ، ولم يكتفي بالأدلة العقلية الفلسفية على اثبات حرية الإرادة، بل ذكر العديد من النصوص الكتابية التي دلت على أن الأحداث الخارجية لا ترغمنا، على سبيل المثال ((قد أنذرك أيها الإنسان ما هو صالح، وماذا يطلبه منك الرب، إلا أن تصنع الحق وتحب الرحمة، وتسلك متواضعاً مع إلهك)) (مي٦: ٨) وكذلك ما جاء على لسان النبي موسى (ع): ((قد جعلت قدامك الحياة والموت. البركة واللعنة. فاختر الحياة لكي تحيا أنت ونسلك)) (تث ٣٠: ١٩) ، ويذكر العديد من الوصايا وغيرها من العهد الجديد تدل على أن بمقدور الإنسان أن يختار، ولا صار الله ظالماً لو أمرنا بشيء غير قادرين على إتيانه، فضلاً عن أن النصوص الكتابية تحدثت عن المجازاة بالحياة الأبدية للأبرار والعكس للأشرار ومنها ((أنطقوا علي يا ملاعين إلى النار الأبدية)) (مت ٢٥: ٤١) ، إلى أن يصل بالنتيجة بالقول ((إنك ستجد في الأسفار المقدسة تأكيدات كثيرة لا عدَّ لها، تثبت أيضاً إثبات جازمًا القدرة على حرية الاختيار، أنا سوى ذلك فضرب من

الخيال أن تعطى أوامر كخاص بعملها بها، أو لتهدد بمبدأ عقاب، إذا لم تكن لديها القدرة في نواتها على مراعاتها؟!) (أوريجانوس، في المبادئ، ص٢٦٩)، فالجميع العقبة والوصايا تدل على قدرة الإنسان على الاختيار وعلى النصوص التي فهمت على نحو مخالف للاختيار، عمل على فهمها بالتقي من أجل أن لا يساء فهمها بالقول في القدر (في المبادئ، ص٢٧٠)، فصورة الله التي وهبها إلى الإنسان هي تعبير على أن الإنسان حرا عاقلاً، فرقمه على سائر المخلوقات وساواه بالملائكة، فالإنسان المخلوق على صورة الله يتصرف بحرية وبأمر الأشياء المخلوقة، ويفعل ما يشاء أو يمتنع عن ما يريد الامتناع عنه (يوحنا الدمشقي، ١٩٨٤، ص١١٥).

وهنا نسجل ملاحظة مهمة أن عصر آباء اليونان تعامل مع هذه المسألة (إرادة الأفراد) وإنسيما عند مواجهتهم للفلسفة الرواقيين كما بينا في الأسماء السابقة انهم يتفقون على أن الإنسان حرّ قبل وبعد الهبوط من السماء، وأن فكر المسيحي المبكر اعتمد في البدايات على أصل الطلاني الخاضع لعقل الإلهي أو الإنساني، حيث العقل هو المرشد في مثل هذه الحالات وهم يؤمنون بعدم التناقض مع العقل الإلهي بسبب اتباعهم المنطق، كون الإرادة تفعل ما يمليه عليها المنطق بصحائه، وعلى ذلك هم يؤمنون بالحرية بالأفعال والإرادة الحرة.

ثانيا: تقرير عبودية لوثر

يعيد إيراسموس في بداية بحثه عن حرية الإرادة والاختيار رفضه القاطع لكل من أوغسطين ولوثر، ويواصل عمله بناءً على هذا الرفض في تطوير الفكرة الخامسة حول الموضوع، وهو يعلن أن اطلاعه على موقف لوثر لم يقنعه مما دفعه إلى اعلان الرفض للاقوت إصلاح الإنسان، ينبغي أن نعرف أفكاره عن الإنسان أولا:

إنَّ ما يجب فحصه قبل الخوض في أفكار عن الإنسان هو مناقشته للإرادة، إذ أنَّ كلاً من لوثر وإيراسموس لم يناقشا الإرادة بحدٍ مجرد، مناقشة العقائد التي تطلق عليها الإنسانية، بمعنى أنهم لم يبحثا هذا السؤال بالتحديد (عما إذا كان الإنسان في حالته الساقطة حراً وقادراً على فعل الخير أم لا؟) إنما كانا يسعيان إلى الوقوف على الإنسانية بوصفها مرتبطة بعلم الخلاص، بمعنى أنه لم يكن السؤال أخلاقياً، أنما هو روحي بعبارة أخرى ليس التساؤل ما إذا كان الإنسان مسالما أم طائحا؟، لكن كيف نخلص الإنسان؟، وهل الخلاص هو جزاء عمله الخاص (الجهد الخاص)؟ أم أن هناك تعاونا بين إرادته الضعيفة والاتكاء على الله صاحب السيادة القوية بغض النظر عن المساهمة من الإنسان، وبذلك يظهر أنَّ السؤال الحقيقي من مناقشة لوثر وإيراسموس في النهاية هو الخلاص أو النعمة، فما يعتد الإرادة الحرة في النعمة، قوة الإرادة البشرية التي بوساطتها يمكن للإنسان أن يطبقها على نفسه وعلى الأشياء التي تؤدي إلى الخلاص الأبدي والاستعداد لها (إيراسموس، ص٤٥).

وهنا يعقد إيراسموس مقارنة بين الإنسانية وعلم الخلاص، إذ يتعلق الأمر بالإنسان على اختيار تلقي الخلاص من عدمه.

وللإجابة على هذا السؤال يخلص إيراسموس إلى: أنَّ العمل للإله أم هو مختص بالإنسان وحده يزدته الحرة؟ وحضا سكتين الإجابة واحدة فما الذنب إلا أنَّ إيراسموس يرفض كل من العوبية التي تجعل من خلاص الإنسان مرجعه القدير الله القائمة على فكرة (التبرير بالإيمان)، وكذا العمل لا يسلم لإرادة قائمة على أساس عمل الإنسان بحسب إرادته الخالصة، فطالما لم يكن الخلاص إحدى هاتين، فهو يجد نفسه قائماً على فكرة التأثر (التعاون) الله والإنسان يتعاونان، إذ مشروع مشترك، والنتيجة هي أنَّ بذل الإنسان الجهد، يحصل على أجر استحقاقه، ويظهر رفض إيراسموس لتفسير

لوثر القائل بأن الإنسان يتمتع بالحرية المقاومة أو المتعاونة والنعمة الإلهية حتى بعد السقوط في الخطيئة الأصلية، التي اتخذها إيراسموس، بحجة أنَّ إرادة الإنسان لا يمكن أنْ تكون حرة ومسئلة لأسباب واضحة، هي مايأتي

١- علم الله بكل شيء وذلك ينافي فكرة الحرية

٢- إنَّ علم الله السابق للأشياء هو ناتج من ضمير مشيئته

٣- من غير المستبعد تكون إرادتنا في حالة عبودية للخطيئة، ولا يتسبب إليها سوى الذنب والفساد (إيراسموس، ص ٥٤).

ويقرر إيراسموس في رده على فكرة لوثر أنّه من الصعب نسبة مجموع ما يفعله الإنسان إلى الله بوصفه المؤلف للأفعال، وفي بيان العلاقة يوضح أنَّ النعمة، وحرية الإرادة سببان يجتمعان في فعل واحد بشرط أنْ تكون النعمة هي المحركة الأساس والإرادة تابعة ثانوية، كون الأصل كافي في نفسه، وهو ما يبرز موقفه من الإرادة من أنّها لا تصل إلى الخلاص من نفسها، فالإرادة تحتاج محرك (النعمة) حتى تستحق الحياة الأبدية (المصدر السابق، ص ٧٦). إلى حد وصفه النعمة الإلهية بالمستشار والمعزي، والمساعد، ويظهر إيراسموس موقفه عبر مجموعة أمثلة منها: الطفل الذي لا يستطيع المشي ويكثر السقوط على الأرض، وهنا يلجأ إلى الأب ان يجعل له مخرجاً على المشي، هنا المطر يتمثل في وضع فتحة على بعد امتار منه، وتكون مهمته الوصول إليها، وهنا ينجح الأمر مع هذا الطفل في كونه تخطا سقوطه ووصلته سيرة بسبب تغير أولويات السير من قبل الأب (المصدر السابق، ص٧٧). وأما فكرة معرفة الله السابقة وارتباطها بإرادة الإنسان الحر، فان الله يصنع ما يشاء، لكن هذه المشيئة لا تفرض إرادة الله شيئاً على إرادة الإنسان، فالمعرفة الإلهية السابقة لأنّه يعرف ببساطة ما سيختاره الإنسان من غير الحتمية على إرادة الإنسان، بل هي

استحضار ما يكون في علم الله الأزلي من أفعال الإنسان من دون التوجيه بالحتمية الضرورية في كونه خيرا أو شرا (المصدر السابق، ص٦١)

فإيراسموس رفض عقيدة (بيلاجيوس) القائلة بحرية الإرادة وانكار النعمة الإلهية في أداء الأعمال الصالحة، ومعنى هذا أنّ بيلاجيوس يرفض جسمياً عقيدة الخطيئة (خطيئة آدم)، فالإنسان قادر تماما على اكمال الناموس الالهي من دون النعمة الإلهية، أيْ أنّ الإنسان لا يحتاج للمعونة بناءً على ما جاء في سفر التكوين، ((لا يقتل الأبناء عن الآباء ولا يقتل الآباء عن الأبناء. كل إنسان بخطيئته يقتل)) (التكوين ٢١: ١٦) ، وصار للسير لعقيدة الإرادة الحرة معرفة بـ(البلاجيانية) (البشكي ١٩٩٢، ص١٣١) ، وأعلن مجمع ليبس أنّ بيلاجيوس مبرئة عام ٤٣١م، كذلك رفض إيراسموس عقيدة أوغسطين التي واجه بيلاجيوس، بسبب هذا النزاع الذي بني على رأيًا الذي معارضة لحرية الإرادة من ذي قبل، وعلى النقيض ((أصبح لوثر – الذي كان أولا يتسبب ببعض الأحيان لحرية الإرادة- يذكرها كلية حين حمى وطيس دا عه)) (إيراسموس، ص٧٥)

وكأنّ كلاً من موقفي أوغسطين ولوثر جاءا ردة فعل كما يظهر من تحليل إيراسموس، لمذاهبهم في الإرادة، إذ يثبت أنّ التحليلات تؤدي إلى كارثة حقيقية، وأنّ ما قدماه كان ردة فعل أيضا عكسية اتجاه الإنسان الذي سيميل للإلحاد بسبب الحتمية المحسمة للأعمال البشرية ((إنّ ما كتبه أوغسطينوس في موضع آخر صحيحا- اي أن الرب عرس فينا الخير والشر، ويكافئنا عن اعماله الصالحة التي غرسها داخلنا ويعاقبنا على الشر التي غرسه فينا)) (إيراسموس، ص٢٠) ، مشاكلا إيراسموس، عن الكوارث التي يسببها شر هكذا رأي إلى إلحاد، بين عدد لا يحصى من البشر (المصدر السابق، ص٦٠) وكأنّ الإنسان غير قادر إلا بالتسلم ليكنا غصين، حيث يعبر عنه

انتهاك لمصير الإنسان الذي يسعى جاهدا لكبح شهواته سعيا منه، سيئاً كم عند الذين يحاولون قرعوه بالتوبة وتحسين سلوكهم، ((فكيف يحيون الرب هنا جما وهو الذي يوقد النار بأم أبدي لمعاقب الصعداء على أفعال شريرة اقترفها هو وكأنه يقلد بآدام البشر؟ سيكون رد فعل معظم الناس كما هو مصير. الناس بصفة عامة جهلاء وسيظهر الجاهل على عقولهم ويميلون إلى عبء الإيمان وإلى الخبث والكفر. فلا معنى لسكب الزيت على النار)) (إيراسموس، حرية الإرادة، ص٢٠) لذا إيراسموس يحاول أنْ يكون متوازن في موقفه، وأنْ لا يتجاز التفسير الميلانجثونية التي قمع العمل للقدرة البشرية من غير النعمة، ولا يقبل موقف لوثر الذي لا يرى مفر من الحتمية للصوبية، بل يجمع بين النعمى وقدرة الإنسان من أجل الخلاص البشري.

ونستغرب لماذا استبعد نص من سفر الجامعة من الشريعة العبرانية، التي يشير بشكل واضح إلى إرادة الإنسان في اختيار الخير والشر، ((الرب صنع الإنسان في البدء وتركه في يد اختياره. وأضاف إلى ذلك وصايا وأوامر. إن شئت حفظت الوصايا ووفيت مرضاته. وعرض لك النار والماء فمد يدك إلى ما شئت. الحياة والموت أمام الإنسان فما أحبه يعطي له)) (الجامعة، ١٥: ١٤-١٨).

وهنا يقرر إيراسموس أنَّ آدم كما خلق كان له إرادة حرة في الاختيار، الخير أو التحول إلى الشر، وإنَّ يعني أنَّ السقوط حجب الخير بالفعل، وأن الإرادة تحولت إلى الشر، بل لا تزال قادرة على فعل الخير، نعم أنَّ الإرادة فيها ميل إلى الشر، وفيها إمكان الاختيار الحرّ بين الخير والشر، وهذا ما يؤكده إيراسموس بتعريفه لقوة الإرادة البشرية، التي بمقتضاها يفلا الإنسان الأعمال التي تؤدي إلى الخلاص الأبدي، أو أنْ يصرف عن هذه الأعمال (إيراسموس، حرية الإرادة، ص٣١)، ويعلل إيراسموس حرية الإرادة بمبدأ

الخطيئة، وهو إنْ كان لا يملك إرادة حرة، لما استطاع ارتكاب الخطيئة، ويحاصل هذا فإن الاختيار ضروري للإنسان، كي يكون مذنباً في البداية من أجل التمييز بين الشر والشر، ويجب أنْ يكون قادراً ومسؤولاً عما يفعله أولاً وبعدها يقرر، إذا ما كان حراً في أفعاله حتى يصير انساناً (إيراسموس، حرية الإرادة، ص٤٠)، وهذا الذي لأجله لا يدفع إيراسموس إلى انكار الخطيئة وتبريرها الواضح الوارد في الكتاب المقدس، لكن هذه الوصايا لا تعني لوثر الإرادة الحرة، بمعنى أن الخطيئة تلعب دوراً في رسم حرية الإرادة، بخلاف الفهم ان الخطيئة تحدد تبعية الإنسان بالعبودية.

ثالثاً: الكتاب المقدس والفهم المتخالف

يعترف إيراسموس في مواطن كثيرة من كتابه (حرية الإرادة): أنَّ المشكلة تكمن في فهم عبارات الكتاب المقدس، وأنَّ الكثير من النصوص تدل جميعاً على أن الإنسان يمكن أنْ يكون حر الإرادة، ((وإذا كان الأمر يعتمد على عدد الأدلة لكنت الآن أنا القائل بهذه المناظرة)) (المصدر السابق، ص٦٧) ، وفي هذا إشارة الى مصادرة تلك الفكرة عند الرسول بولس- المعاصر المتحمس لخطه، والذي هاجم اعمال الشرائع (الميراثية)، وبهذا ما يعني بحرية الإرادة كقوله: ((أَوْ تَسْتَهِينُ بِغِنَى لُطْفِهِ وَحِلْمِهِ وَطُولِ أَنَاتِهِ، غَيْرَ عَالِمٍ أَنَّ لُطْفَ اللهِ إِنَّمَا يُقْتَادُكَ إِلَى التَّوْبَةِ؟)) (رومية، ٢: ٤)، وظل إيراسموس متسائلاً في الوقت نفسه كيف يجب اليهم الاستهانة بالوصية إذا لم تكن هناك حرية إرادة؟ وكيف يدعون الإله أنْ يكفّر عن خطاياهم، بينما هو من تسبب في عدم التوبة من الخطيئة، مستغرباً موقف لوثر! واصفاً رأيه بالمتعجرف والمتشدد، عادّاً مذهبه متّسماً بالغلو، ومرتقه مباغتاً فيه، في إشارة ليحاً إلى اعتدال مذهبه، والحق أنَّ إيراسموس يمثل التوجه الفلسفي، بينما لوثر في كثير يراعي أي قدرة بشرية في تحديد امكانية الإنسان بالوصول لفهم موضوع الإرادة البشرية من عدمه، فالمسألة قائمة على مبدأين، الأول: على

أساس الإنسان، وإن كان صالحاً فانه سموه بالخطيئة، والثاني: وهو أن تجتمع فيه الخطيئة فهو بحاجة إلى النعمة بالعبودية، وليس النعمة بالحرية كما يريد قولها إيراسموس، لذلك فإن الأخير وإن حاول بمناظرته أن يكون اكثر تعقلاً، الا إنَّ الاصلاح الذي ينشده كان ينفع بالإنسان نحو العبودية والخلاص. ومن أجل فحص حجج لوثر بدأ بشرح كلمات جسد الوارد في بعض النصوص المقدسة (الجسد والروح)، ((لأنَّ جنسَ العَشَبِ، وكلَّ مَجدِهِ كزَهرِ الحَقلِ. يَبِسَ العُشبُ، نَبَلَ الزَّهرُ، لأنَّ نَسَمَةَ الرَّبِّ هَبَّتْ عليه. حقًّا الشَّعبُ عُشبٌ! يَبِسَ العُشبُ، نَبَلَ الزَّهرُ. وأمَّا كَلِمَةُ إلهِنا فَتَثبُتُ إلى الأبدِ)) (اشعياء ٤٠: ٦-٨). وقد استدل لوثر بهذه النصوص لتوضيح إرادة الإنسان للعبودية (النعمة)، بينما ذهب إيراسموس إلى تفسير الجسد الوارد بانه ليس جسداً خاطئاً، بل لا يتعدى كونه جسداً مسمياً لم يتصف به هذا الجسد الترابي وله قيوده المتحصنة بالزمان والمكان، بل يستبين بفهم القديس جيروم القائل: إنَّ الجسد في حالته الاخلاقية سميك، وبذلك يجد إيراسموس أنَّ فكرة لوثر بفساد الإنسان تماماً لا يمكن قبولها، وإذا ما استعان لوثر بالنصوص فإن إيراسموس هو والآخر جمع النصوص الواردة في الكتاب المقدس والتاريخ الخاص بالآباء، كي يحل أنَّ الإنسان ليس بالكامل جسداً، فالنفس تسعى لما هو شريف من الأشياء، وبالامكان أنْ يطغى عليها العقل أو القدرة التوجيهية ((فالنفس والتوفيق وقال: ملأتنا تتفلان من أيّ روح أنتما)) (لو ٩: ٥٥) ، فالفلاسفة على حد تعبير إيراسموس كانوا يسعون لتحقيق الاعمال الشريفة، فكان يتعجب الانسان إلى طرقة ما، فضلاً عن أنه يرد القول: إنَّ الإنسان ليس كله جسداً، فجزئه يمكن أنْ يكافح من أجل العديد من الاشياء الجيدة، إلا أنَّ هذا العقل يبهت أو يضعف بسبب الطبيعة الدنيئة للإنسان ومن هنا فإنَّ عقل الإنسان يحتاج إلى أن تنير روح الرب (النعمة)، وهذه فكرته المركزية في استعماله نص

لوثر وايضا يوافق (إيراسموس، حرية الإرادة، ص٥٠).

إنّ المشكلة الحقيقية لا تكمن في النص كما يصرح الاثنان؛ بل في مدى استيعاب العقيدة، فإيراسموس يعلن أنّ نصوص الكتاب المقدس غامضة ومتناقضة، وتحتاج لتفهم، وهذا ما جعله يلجأ لكلمات الآباء الأوائل، بينما لم يجد لوثر نفعا في كلمات المفسرين والآباء، لأنّ الكتاب وكلماته واضحة وليست بحاجة للتفسير، وهذا ما جعل الخلاف يكبُر، إذ عبّر عنها إيراسموس بقوله: ((لو كان واضحا لما لما قبلنا- حسبما يعتقد خصومي- ظل كثير من العظماء يتصرفون كالعميان لقرون عدة وبخاصة في الامور شديدة الأهمية؟ إذا لم تكن هناك غامة مظلمة في الكتاب فما الحاجة إلى الشروح)) (إيراسموس، حرية الإرادة، ص٢٦-٢٧) ، ومشكلة لوثر تكمن بعدم الثقة بتفسير الافراد انطلاقا من الإنسان ليس باستطاعته (العقل) إنْ يصل إلى الحقائق لأنّ الخطيئة جعلت منه غير قادر على إدراك اسرار ومضامين الكتاب المقدس، فهو بحاجة إلى النعمة في كل شيء، وليس في أفعاله قفص وهذا ما يخالفه إيراسموس في تعويله على الآباء اليونان واللاتينيين أصحاب الذكاء والفطنة، ممن يمتلكون ثروةً علميةً، وقد شكل اعتبارهم مرجعا لإيراسموس في حرية الإرادة، وبالذات في ما سيما بالشأن الذي جاء به جيروم الذي اقدم الكثير عنهم (المصدر السابق، ص٢٦).

ويعزز لوثر من وضوح كلمات الكتاب المقدس من نفسه، إلا أن (الإنسان) لا يستطيع فهم ذلك بنفسه، كونه واضحاً لكنه أتى الذي اصبح غير الروح القدس في قلوبهم. ولا ينكر لوثر صعوبة بعض الكلمات، وعدم وضوح عند من العبارات، أو ضعف عمل الروح القدس، بل يرجعه إلى ضعفنا في فهم غموض بعض المقاطع التي يشار اليها بالتناقض وعدم الوضوح، وهذا الموقف يخالف إعلان الكتاب المقدس بانه النور الذي يكشف

الحقيقة، ولا ما كان غامضا فأعانا انعطاف إياه (مزمور٧٦: ٤؛ متى، ٥: ١٦، يوحنا، ٤: ١٢)». ويحسب لوثر أنَّ العقائد التي يعجز عن فهمها مثل (الثالوث والتجسد والخطيئة) ليست غامضة، كتلك مسألة الإرادة البشرية هي واضحة، لكن إيراسموس وغيره عبر قادرين أن يعوا هذه الكلمات (Luthel, pp1996:199) بسبب ابتعادهم من روح الكتاب، ضداً منهم انها متناقضة، وهنا سيظهر لوثر البعد اللاهوتي التبريري في دعوته للإصلاح بعيدا عن قدرة الإنسان، وبما أنَّ إيراسموس يحسب على التيار الإنساني فهو لا يجد مبرراً لهذا الكلام إلا الجدل والتحدي إلى أقوال القديسين، الذين كانت لهم وجهات نظر يلتقي معهم في تحديد حرية الإرادة.

إنَّ مهاجمة لوثر لخصمه إيراسموس بسبب قوله أنَّ النص المقدس غير واضح، وذلك للغموض حاصل عنده بسبب انه لا يعي معاني الكتاب، وهنا ما جعله يجير عنها بالمناقصة أو أنها غامضة المعنى، مما أدى به إلى اللجوء لمساندة آباء الكنيسة أملاً في الحصول على دعمهم، في وقتا كان آباء الكنيسة قد بنوا عقيدتهم إزاء حرية الإرادة على أساس وضوح الكتاب، وهنا ما دفع لوثر إلى تحدي إيراسموس في مطالبته بالعثور على مقطع واحد يدعم وجهة نظره حول حرية الإرادة، بل ويجزه لوثر بعدم امكانية العثور على ما يبرر وجهة نظره أو فكرته (Ibid. pp144)، ويمضي لوثر في هجومه اللاذع حين ينتقد قدرة إيراسموس في تفسير الكتاب المقدس، كونه عالما كبيرا في اللغات، لكن هذه المعرفة لم تجعله ليكون مفسرا قاهما، وحتى الذي احتج به من سفر الجامعة كان بناء على توجيه جيروم، وأنَّ التنازع الذي اتسم به إيراسموس في التفسير ليس سببه الكتاب المقدس، بل كان ناتجا من العقل البشري كما اشرنا سابقا، إذ يعتقد إيراسموس أنَّ سفر الجامعة ينكر الإرادة، فإن هذا يعني أنَّ المرء ليه ارادة حرة (Ibid. pp

(١٥٣)، مشيرا أنَّ إيراسموس يصوغ كلام الله كما يشاء، وكأنه يريد أن يقول إنَّ غيمه -لوثر- هو الصحيح، وما يقدم إيراسموس هو نجاتي على الله، أيْ إنه يصوغ مقدرته ويبرر النصوص من أجلها ولم ينطلق النص بحسب عبارته، ولم يكن لإيراسموس الشجاعة باستعمال عقله الخاص بقدر ما كان يلجأ كما ذكرنا باتباع القانون الكاثوليكية الرومانية، ويعود إلى آباء الكنيسة، فعمله معلق بالاقتباسات، والناظر في دعوة لوثر لا يجد مشكلة في استعانته بمقاطع آباء الكنيسة من أجل حل هذه الإشكالية، وهذا يعني أنَّ إيراسموس لم يمارس حريته بإرادته بحسب تفسير لوثر، بل فقر له أن يدفع ويرضى دعوى لكن لوثر يحاول إسقاطه بصورة أو بأخرى بشرائه البورطقة والتجني عليه، التي يقابله بالضد من النص المقدس، إلى أنَّ يصل بالقول أن الكنيسة صاحبة السلطة في تفسير الكتاب المقدس، مما جعل لوثر يتحامل في القول بأنَّ إيراسموس يجمع الآباء فوق بولس الرسول الملهم للمسيحية (Ibid. pp ٢٢٣)، وليس من مفسر في هذا المجمع بحسب الظاهر، إذ أنَّ الكثير من آباء الكنيسة يشيرون إلى وجود التناقض في كثير من نصوص بولس الرسول، مما دفعهم إلى تأويلها وإخراج معنى مغاير فيما بينهم، ويقدم لوثر رؤيته لفهم النص المقدس بناءً على أن كلمة الله موحى بها عبر الروح القدس، فهو يقر أيضا في عمل روح القدس، وأنَّ الروح القدس ألهم تفسير تلك الكلمات من منطلق الإيمان بكلمات الله الواردة في الكتاب المقدس التي يفسر بعضها بعضاً، فلوثر يرفض إخراج النصوص من سياقها كما فعل إيراسموس، التي استقطع بعض العبارات من بعض الأسفار والنصوص المقدسة لكي يثبت نظريته في حرية الإرادة.

إذا يفسر لوثر الكتاب المقدس -بخلاف إيراسموس- بالمعنى البسيط والواضح بحسب تعبيره، إذ يقول: (يجب علينا في كل مكان أن نتمسك فقط بالمعنى الطبيعي

والبسيط للكلمات، كما يستنتج قواعد النحو وعادات الكلام التي خلقها الله بين الناس)) (Ibid. pp 191) ، ويظهر أنّ أصل المشكلة بين كل من إيراسموس ولوثر يكمن في البناء المعرفي لرأي فهم النصوص ومنهج التأويل والتفسير، فإيراسموس يعتبر لمجموعة من الوصايا والكلمات الواردة في النص المقدس على انها غامضة، وهي بحاجة لفهم لكي يخرج منها فهم يعبر عن فكر الإنسان الإصلاحي التي تمثل قدرة الإنسان على الاختيار، فتمسكه بكلمة (اختر) كانت وسيلة على سبيل المثال من أجل تحقيق رغبته الفكرة العبودية التي نادى بها لوثر، في حين أنّ لوثر كان موقف إيراسموس دائماً من الجهل بالآليات العقلانية الواردة في الكتاب المقدس وهو اقرب للسقوط، فلوثر يعلن أنّ الذين ليس مجرد رأي، فالذين عند هو (sola scriptura) أي الكتب المقدس وحده، والأسفار الواردة في الكتاب هي من تحدد ما يجب أنْ نؤمن به، فالشكوكية التي مارسها إيراسموس وإن قل الجهد الجديد للميزانية كان الأجدر به أنْ يحول عقله نحوه ،لا أنْ يثير قلبه وعقله على العقائد، وأنّ دفاعه عن الإرادة الحرة، تعلن رغبته للكتاب المقدس، ولتوضيح من تعامل لوثر عند خصمه وكيف كان يستعمل كل الوسائل التي يعلن فيه دوغمائيته الطائفية، وإخراج مخالفه من فهم النصوص الوارد على لسان روح القدس، لأنّ أسلوب إيراسموس ومنهجه حول الإنسان كان يغطي لاهوته وطريقته، وأنّ مداخلته آباء الكنيسة كان من باب فسح المجال للقدرة البشرية في تفسير ما كان غير واضح في الكتاب المقدس، واهتمامه بالإنسان هذه الاعتدال من اجل بناء لاهوت يحافظ فيه على قيمة الإنسان، وكذلك فإنّ الإشارات التي تركه في عمله يثير للكتاب المقدس بالتعامل بإسهاب في تناول مسألة الاختيار الحر، ويعزو ذلك إلى أنّ المسائل مفتوحة للمناقشة من قبل الإنسان، وكأنه يريد أنْ يعطي دوراً فاعلاً للإنسان في طرح هذه الإشكالية، عبر خروجه من سلطة النص

الى سلطة القدرة البشرية في تلك هذه المسائل وجلها عبر استحقاق الواقعة والعقل، وهذا ما رفضه لوثر من اعتقال إيراسموس كونه خالي من الالتزام الشخصي والعقائدي، لأنَّ الكتاب المقدس صريح وواضح بما فيه الكفاية، وبذلك يعتم وضوح الكتاب سيبقى دورة، ولوثر يدعو إلى سيادة الله على استقلالية الإنسان، وهي المسألة التي ما برح إيراسموس إعلانها في تفسيراته لمسائل اللاهوتية، فلوثر يعد خطاب خصمه خالياً من اللاهوت، لأنه لا يمتلك عقيدة كتابية، ولا فكرة عن اللاهوت، فلذا كان إيراسموس ينشد الخلاص فلوثر كان يعلن بشكل واضح أنَّ خطابه إكرام الله في عقيدة السيادة، ولن لا يقبل اتباء الحلول (الوسطى)، ولذا فهم إيراسموس مبتعداً بعيداً عن اللاهوت، لذلك كان يجد صعوبة في فهم النصوص، وتكرر أنَّ النصوص والتناقض يبدأ الكتاب المقدس، وذلك بسبب جهلة بقواعد التأويل والتفسير، مما دفع إلى الجوء لمشورة الإنسان (الآباء) على خلاف مشورة الله (Ibid. pp١٨٢)، ويؤكد لوثر على وضوح الكتاب المقدس بشكل خاص، وهو يشير إلى الوضوح الداخلي والخارجي للنص المقدس (Ibid. pp ١٥٨،١٦١)، ونجد لوثر يحاول إسقاط مذهب إيراسموس الإنساني كي لا يجعل من الإنسان مركزاً للتعبد، انطلاقاً من قصورة التي انتزله من الخطيئة الأولى، وأرثوذوكسيته لحتم عليه أيضاً الهجوم من أجل هدم عقيدة الإنسان التي دعا لها إيراسموس، التي تقود على أساس " لأنَّ الحُرُوف يَقْتُلُ وَلكِنَّ الرُّوحَ يُحْيِي" (٢كو ٣: ٦).

إنَّ مقاربة إيراسموس لموقف لوثر مع الرواقيين في إطلاقهم معيار مطلق للحقيقة في ظل عدم وجود معيار مطلق أو مقياس معصوم لبيان الخطأ، كانت مقاربة مبنية على البناء المعرفي لمفاهيم العبودية، فهو يذكر ان لوثر سيطلق من الكتاب بوصفه حقيقة مطلقة (مقياساً)، وإيراسموس كما اتضح لم يقلل من قيمة

الكتاب المقدس، الا انه لم يجد الحل في الكتاب المقدس لغموض عباراته، وأنّ العقل البشري له مساحة من التعقل في هذا الموضوع، ومن جانب آخر لا يريد الوصول لفهم لوثر، الذي سيؤدي إلى أنّ الإله هو المسؤول عن كل شيء، وأنّ ما يفعله الإنسان بإرادته هو خطيئة، وهذه النتيجة لإيراسموس تقلل من قيمة الإنسان، التي كل الموروث الديني والأخلاقية، ويدرك من طريقها قلق لوثر من موقف البيلجانية، وفي الوقت نفسه حمل لوثر نتائج تضخيم الخطيئة إلى درجة توصله إلى لامعقولية، فإيمان إيراسموس إنّ الإله كلي القدرة هو منبع الخير، عبر توازن ومحافظة على الشر الإلهي بوساطة مسؤولية الإنسان، اذا لم يكن للبشر درجة من الحرية فمن الصعب رؤية الإله يتصرف بعدل حينما يعاقب المذنبين، وأن خيبات هذه الرؤية البيلجانية على انكار الفضل الإلهي، لكنه اقربها بالنعمة الإلهية، وأنّ تضحية المسيح أتحت فرصة القبول أو الرفض للنعمة الإلهية، ومع ما قدّمه إيراسموس من حجج، ألا أنّ الكثير من اللاهوتيين سجلوا انتصار لوثر في هذه السجالة، ولا سيما بعد نشر كتابه في عبودية الإرادة، وهو ما دفع أيّ علاقة قد تعقد بين البروتستانتية والإنسانوية في ما بعد، ومن الجدير بالذكر ان إيراسموس ردّ على كتاب لوثر بكتاب (Hyperaspistes) حامل الترس وهو عمل يحمل فيه إيراسموس دفاعاً عن نفسه بعد هجوم لوثر العنيف عليه، مستعرضاً كل إدعاءات لوثر، ورد عليها في صفحا كثيرة نسبياً، ولم يكن قصد إيراسموس الرد على لوثر بقدر ما كان يريد إنّ يردّ اعتباره كعالم انسانوي، ولم يشر إلى أنّ لوثر قد اقتنع عليه، وبقي لوثر مصرا على أنّ الله يحيط التمجيد الذاتي للوثا وقدرتنا الإنسانية، فيصبح الصلاح متاحا حينما يتخلّى الإنسان عن إدعاءاته، بأنه يتحكّم بمفاصل الأمور في السماء، ويتغيّر بفضل عمل النعمة الإلهية، التي تغيّر إرادتنا لتخضع الكل ما هو المسيح، مضيفا (إنتهج الإرادة المتحرّرة

بفضل محبة ونعمة المسيح، ثروةٌ جنيناً من القيم لا يستند على الشرائع والقوانين الأخلاقية، لكن يستخدم هنا القيم الجديد نوعاً آخر من التبريرات والدوافع، التي هي دوافع الإيمان التي تنفعنا للاستجابة مع حاجات الآخرين، لأنّ إرادة المسيح أن نخدم القريب المحتاج)) (Ibid. pp 193) ، فالإنسان وِفْقَ عبدا للخطيئة، فلا مجال للحرية التي يزعمها إيراسموس

الخاتمة

أظهر البحث مجموعة من النتائج وهي ما يأتي:

- إنَّ طرفي الجدال ينطلق من نقطة محددة هي الكتاب المقدس، لكنَّ الخلاف ناتج من تحديد صلاحية الإنسان في قبول النعمة بالقدر والتعاون للخلاص.
- إيراسموس أراد أنْ يضع نقطة التوازن كي لا يُحسب على حركة الإصلاح، لاسيما بعد إصدار كتابه مديح الحماقة، لذلك نلقى موقف لوثر المتأثر بأوغسطين، وأفكار الفكر الروحية.
- رفض لوثر حرية الإرادة الناتج في المقام الأول من أنَّ الإنسان ليس بمقدوره تحديد صلاحيته في الاختيار والمقام الثاني أن موقف إيراسموس يقارب من رأي بيلاجيوس المرفوض من الكنيسة، بما جعل رأي لوثر أكثر قبولاً في المسيحية.
- يعد موقف إيراسموس تمثيل لنزعته الإنسانوية، والتي هي أقرب إلى التفسير الفلسفي من اللاهوت الذي يعطي مساحة من تحديد الاختيار نظراً لقدرة الوعي والعقل البشري في اختيار الخلاص، وهذا ما انعكس على تفسيره وتأويله لنص المقدس.
- إنَّ رفض لوثر لجميع استدلالات إيراسموس على النصوص، لأن

الأخير نجد تعرضاً وتناقضاً في عروض الكتاب المقدس، وهذا ما دفع إلى النظر إلى عصر الآباء وبالأخص القديس جيروم، وهو ما رفضه لوثر انطلاقاً من وضوح النص وعدم درايته بإرازموس بالتفسير.

قائمة المصادر والمراجع

الكتاب المقدس

١. أربطو عن الأخلاق إلى نيقوماخوس، ترجمة من اليونانية إلى الفرنسية: بارتلمي سانتهيلير، ونقله إلى العربية أحمد لطفي السيد، دار الكتب المصرية، ١٩٢٤.

٢. أمين، حسان، الفلسفة الرواقية، مقدمة لحسن التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٥.

٣. وريدهاس، في المبادئ، ضمن سلسلة الفكر المسيحي بين الأس وليوم ٣١، عربه ونقد له ووضع عليه ونقده الأب جورج خوام اليوسي، بمعونة الكلية البولسية، بيروت، بلا تاريخ.

٤. إيراسموس، حرية الإرادة، ترجمة أحمد لطفي، دار صفصافة، القاهرة، ط١، ٢٠١٤.

٥. بدوي، عبد الرحمن، فلسفة العصور الوسطى، دار القلم - بيروت، ١٩٧٩.

٦. بدوي، عبدالرحمن، تاريخ الفكر اليوناني، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٤، ١٩٧٠.

٧. البطكي، منير، معجم أعلام الهدى، دار العلم للملايين، ط١، بيروت، ١٩٩٢.

٨. بيك، توماس، الإرادة الحرة: مقدمة قصيرة جداً، ترجمة: ياسر حسن، مراجعة: هبة رؤف، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط١، مصر، ٢٠١٥.
بيك، توماس، الإرادة الحرة: مقدمة قصيرة جداً، ترجمة: ياسر حسن، مراجعة: هبة رؤف، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط١، مصر، ٢٠١٥.

٩. تاراس، توماس ف.، الإيمان بالثالوث، ترجمة عماد موريس إسكندر، مراجعة جوزيف موريس نجيم، مركز دراسات الشرق الأدنى، القاهرة، ط٣، ٢٠١٧.

١٠. ج. بيتري، حرية الفكر، تعريب: كمال عبد العزيز إسماعيل، تقديم إمام عبد الفتاح إمام، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.

١١. جلسون، إتيان، تاريخ الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، ترجمة: إمام عبد

الفتاح إمام، الكوير، ط٣، بيروت، ٢٠٠٩.

١٦. جيمس، وليم، العقل والدين، ترجمة محمود حب الله، دار الفكر للنشر، ط١، القاهرة، ٢٠٢٢.

١٧. الخضري، زينب محمود، أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى، دار الكوير، بيروت، ٢٠٠٧.

١٨. ديورانت، ول وايريل، قصة الحضارة الإصلاح الديني، ج٦، مج ٨، الكتاب ١٣، ترجمة عبد الحميد يونس، مراجعة علي أدهم، دار الجيل، بلا ط، بيروت، ١٩٨٨.

١٩. راتشجر، جيرارد، مدخل إلى الأديان السيميائي، ترجمة سين الحربي، منشورات المكتبة الوطنية، بيروت ط١، ١٩٩٤.

٢٠. رؤوف، منة أسامة أحمد، أثر الفلسفة اليونانية في الفكر المسيحي المبكر، تقديم: مجدي السيد أحمد كيلاني، المكتب الجامعي الحديث، القاهرة ط١، ٢٠١٩.

٢١. صالح، هاشم، مدخل إلى الكوير الأدبي، دار الطليعة للطباعة والنشر ورابطة العقلانيين العرب، بيروت، ط١، ٢٠٠٣.

٢٢. فوكو، ميشيل، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، ترجمة: سعد بنكراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠١.

٢٣. القاضي، عبدالجبار، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، تحقيق: فؤاد سيد، دار التونسية للنشر، بلا ط.

٢٤. هاملكس، سكوت إلن، مارك لوار خدمة قصيرة جدًا، ترجمة لؤلؤ محمود محمد، مراجعة: هبة عبد العزيز هاشم، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط١، مصر، ٢٠١٤.

٢٥. وتشكون، أ. هاري، قصة المتكلمين، ج١، ترجمة مصطفى لبيب عبد الغني، المركز القومي للترجمة، القاهرة ط١، ٢٠٠٩.

٢٦. يوحنا الدمشقي، المئة مقالة في الإيمان الأرثوذكسي، عربه عن النص اليوناني: الأحمدرت الراهبان فيكتور؛ المكتبة البولسية، بيروت، ١٩٨٤.

٢٧. يوستينوس، الدفاع الأول، ضمن النصوص المسيحية في العصور الأولى، ترجمة: أسال فؤاد، مراجعة مجموعة من المترجمين، دار نابارين، ط١، مصر، ٢٠١٢.

٢٨. يوستينوس، الدفاع الثاني، ضمن النصوص المسيحية في العصور الأولى، ترجمة: أسال فؤاد، مراجعة مجموعة من المترجمين، دار نابارين، ط١، مصر، ٢٠١٢.

Ancient Thought (Sather Classical Lectures), 1st ed. (University of California Press, [illegible]).

16. Luther, Martin. *The Bondage of the Will*. Tr. by J.I. Packer and O.R. Johnston. Grand Rapids: Revell, 1957.

17. Michael Frede. A Free Will: Origins of the Notion in